قراءة في التطور الديموغرافي لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

A reading of demogrqphic development of Algiers During the Ottoman era

دة / نجوى طوبال (*) أستاذ محا ضر –أ – D .Nedjoua Toubal

جامعة الشهيد حمة الأخضر –الوادي University of the martyre Hama Lakhdar –El WAD

تاريخ الاستلام: 31 /2021/01 **تاريخ القبول:**27 /2021/02 **تاريخ النشر:** 2021/05/05

ملخص: يشكل التطور الديمغرافي للمدن واحدة من الاهتمامات التي شغلت بال الدول، واهتمام الباحثين، قديما وحديثا، لما له من تأثير مباشر وملموس على واقع تلك الدول، اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وحتى عسكريا، ومدينة الجزائر بموقعها الاستراتيجي ومكانتها الخاصة قبل وخلال الفترة العثمانية وحتى بعدها، باعتبارها عاصمة البلاد، شهدت تطورا ونموا ديمغرافيا خلال المرحلة العثمانية، كان له الأثر الواضح في مختلف المناحي، وقد تحكمت في هذا التطور مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية والسياسية، كان لها انعكاسها ارتفاعا وتراجعا في مستوى ذلك النمو والتطور ونسبة الكثافة في المدينة. وتسعى هذه الدراسة إلى رصد وتتبع التطور الديمغرافي لمدينة الجزائر منذ دخول العثمانيين إليها سنة 1519م، وإلى عشية العدوان الفرنسي عليها العام 1830م.

الكلمات الدالة: مدينة الجزائر. العهد العثماني. السكان. العمران. الديمغرافيا. الارتفاع. التراجع.

Abstract: The demographic change of cities constitutes one of the concerns that preoccupied countries, and the interest of researchers, in the past and in recent times, because of its direct and tangible impact on the reality of those countries, economically, socially, politically and even militarily, and the city of Algiers, with its strategic location and

(*) دة/ نجوى طوبال: **nedjouatoubal604@gmail.com**

special position During and even after the Ottoman period, as the capital of the country, it witnessed demographic development and growth during the Ottoman period, as it had a clear effect in various aspects, and this was controlled by a group of natural, human and political factors, and their reflection had an increase and a decline in the level of that growth and development and the proportion of density in the city.

This study seeks to monitor and track the demographic development of the city of Algiers since the Ottomans entered it in 1519 and until the eve of the French aggression against it in 1830.

Key words: the city of Algiers, the Ottoman era, population, demography, urbanization.

مقدمة: برزت مدينة الجزائر في العهد العثماني(1519-1830)، متميزة بموقعها اللافت للأنظار على ربوة مشرفة على ساحل البحر ، متوفرة على مرسى يحيط به مجموعة من الجزر، والتي استمدت منها المدينة تسميتها بـ"الجزائر"،[1] هذا الموقع الاستراتيجي الحصين الذي استعصى مرارا تكرارا على الدول الأوروبية المعتدية، مما سمح بإعادة توطيد الأمن الذي ساهم بايجابية في تنمية الأنشطة الاقتصادية للمدينة وبالتالي سمح بتغير وضعها الديموغرافي نحو الارتفاع والتنوع، حتى سميت بالمدينة الكوسموبلية أي المتعددة الأعراق والأديان والمذاهب.

وانطلاقا مما سبق، جاءت هذه الدراسة كمحاولة لرصد التحول السياسي الذي عرفته مدينة الجزائر خلال العهد العثماني بعدما أُتُخذت عاصمة للبلاد، وكيف انعكس ذلك التحول السياسي على الوضع الديموغرافي ارتفاعا وانخفاضا؟ وعلى خصائص الحيز المكاني وتأثيره على الوجه العمراني للمدينة؟ وكيف نفسر ظاهرة الازدحام داخل أسوار المدينة والوقوف على العوامل المتسببة في ذلك؟

1-نبذة تاريخية عن أوضاع المدينة قبل الفترة العثمانية

لم تحض مدينة الجزائر خلال الفترة الإسلامية، بالاهتمام الكافي من القوى السياسية المتعاقبة على المنطقة،[2] على الرغم من موقعها المتميز، على ضفاف البحر الأبيض المتوسط، فقد ظلت موقعا مهملا ومجهولا ولوقت طويل ، فكان موقع المدينة عبارة عن آثار وأطلال مهجورة لما يقارب مائتين وخمسين عاما، بعدما أصابه التخريب إثر هجومات الوندال، فكل ما كان يُشاهد في ذلك الموقع أوائل القرن التاسع الميلادي هو قطعان ماعز قبيلة الثعالبة[3] التي كانت ترعى هناك، غير بعيد عن مضارب خيام القبيلة التي انتشرت بأعالي منطقة بوزريعة.

أما بداية الانبعاث الفعلي للمدينة، فقد فرضه التنافس على السلطة في بلاد المغرب الإسلامي، ويُعزى الفضل في ذلك إلى بلكين بن مناد الصنهاجي[4] خلال القرن العاشر الميلادي، عندما عمل على تقوية وتوسيع ثلاثة مدن، كانت مدينة الجزائر على رأسها، إضافة إلى مديني مليانة والمدية، وهي المدن التي شكلت مثلثا يهدف لضمان مراقبة المواصلات وطرق التجارة بين الساحل والتل ومنطقة السهوب، ومن هنا بدأت مدينة الجزائر تحصل على أهميتها الأولى، وما زاد من تلك الأهمية تفاقم الخلاف بين الحكام الفاطميين وخلفاء قرطبة حول زعامة العالم الإسلامي في القسم الغربي[5]. وظلت مدينة الجزائر تابعة للزيانيين مرة وللحفصيين أخرى إلى أن استقلت بأمرها أواخر القرن التاسع وعادت أشبه ما تكون بجمهورية ارستقراطية يديرها مجلس مؤلف من أعيان المدينة تحت حماية الثعالبة، وكان العالم الجليل الشيخ عبد الرحمن الثعالبي من أعيانها[6]

وقد جلب المناخ المعتدل لناحية الجزائر الواقعة قبالة البحر الأبيض المتوسط الوافدين من جهات مختلفة، فلم ينته القرن الحادي عشر ميلادي حتى غدت الجزائر مدينة كبيرة، كما شهد بذلك المؤرخون المعاصرون لتلك الفترة ومنهم البكري والإدريسي إذ وصفاها بكثافة السكان وازدهار التجارة، وهو الوصف الذي لا ينطبق على القرن الثاني عشر، الذي شهد عدة حروب أثرت في هذا التطور الوليد[7].

فقد دخلت مدينة الجزائر تحت سلطة الموحدين ثم المرابطين، وبعدهما لسلطان بجاية ثم مملكتي تلمسان وتونس وانتزعت بعد ذلك نوعا من الاستقلال الذاتي تحت إمارة شيخ الثعالبة[8] قبل أن تنتهي إلى أيدي الأسبان في 1510.

2-التحول العام للمدينة خلال العهد العثماني

لاشك أن الأوضاع المتردية والفوضى السياسية العارمة في كامل المنطقة، كانت عاملا مشجعا للأطماع الصليبية المتنامية حول الشمال الإفريقي، خصوصا بعد سقوط غرناطة في الثاني جانفي من العام 1492م، فكانت أول نقطة احتلها الإسبان مدينة مليلية عام 1497م، بعدها احتلوا المرسى الكبير بعد حصار دام خمسين يوما، ثم انطلقوا إلى وهران واحتلوها في العام 1509، وبعدها وجهوا أنظارهم إلى بجاية، التي احتلوها سنة 1510، وبقدر استماتة أهلها في الدفاع عنها، كان ردَ الأسبان وحشيا حيث ارتكبوا أفظع المجازر وعاث الجيش الاسباني فسادا في المدينة[9]. ثم حاصرت القوات الاسبانية مدينة الجزائر، وأرغمت شيخها سالم التومي على قبول شروطها، وقد انتقل بنفسه، يصاحبه وفدا من الأشراف إلى اسبانيا لآداء يمين الولاء والطاعة أمام الملك فرديناند، ثم استولى الإسبان عل جزيرة "البنيون" عند مدخل المدينة وبنوا فيها حصنا، أقامت فيه حامية عسكرية مهمتها مراقبة مدى احترام الشروط المفروضة على الجزائريين، ومراقبة تحركات المراكب الجزائرية حتى أضحت مدينة الجزائر وسكنها تحت التهديد المستمر[10].

في تلك الأثناء ذاع صيت الإخوة بربروس[11] في الحوض الغربي للمتوسط في إطار مساعدة البحارة العثمانيين لمسلمي الأندلس عقب سقوط غرناطة[12]، فاستنجد بهم في البداية أهالي بجاية لإنقاذهم من يد الإسبان فاستجابوا لهم، ورغم المحاولة إلا أنهم فشلوا فانسحبوا مؤقتا، على أمل معاودة الكرة بعد القيام بالتحضيرات واحتياطات اللازمة للأمر، لكنهم نجحوا بعدها في الاستقرار بجيجل، التي كانت يومئذ مدينة صغيرة وقاعدة تجارية كان يستغلها التجار الجنويين منذ سنة 1260، وبعد معركة عنيفة تمكنوا من اقتحام المدينة في حدود العام 1513[13].

وقد عبّر خير الدين بربروس عن أصداء ذلك الانتصار قائلا:" عندما كنت مع أخي في مدينة جيجل، وصلت وفود عديدة من المدن الجزائرية، كان أهمها وفد مدينة الجزائر التي كانت مركز البلاد. كان أهالي الجزائر يشكون من ظلم الإسبان، ويرجون تدخلنا لإنقاذهم، فخرج أخي في خمسمائة بحار متجها إلى مدينة الجزائر بعد أن خلفني في جيجل.."[14]

وكانت هذه بداية مرحلة وصفحة جديدة في تاريخ البلاد عامة، وتاريخ المدينة التي تحولت من موقع مهجور إلى عاصمة سياسية وإدارية **"دار السلطان"**[15] بعد انضوائها تحت لواء الإمبراطورية العثمانية القوية –حينها–، وقيام نواة حكم مركزي قوي يهدف إلى القضاء على الصراعات الأهلية التي كانت سائدة، وإرساء دعائم وحدة سياسية وإدارية في إطار إقليم وطني محدد و ضمن حدود واضحة المعالم[16]، و الصورة التالية توضح الشكل الذي كانت عليه مدينة الجزائر خلال القرن السادس، والشكل الذي أصبحت عليه بعد خلال القرن الثامن عشر :

صورة رقم 1: مدينة الجزائر سنة 1563[17]

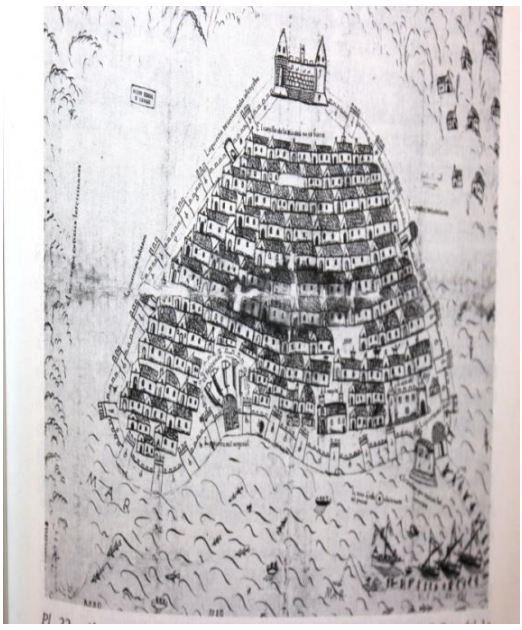

صورة رقم2: تحصينات مدينة الجزائر القرن[18]

وأهم ما تبرزه الصورة بوضوح، هو شكل المدينة الهندسي الشبيه بمثلث متساوي الأضلاع قاعدته خط الشاطئ، وقمته تتوافق مع موقع القصبة، وهو الشكل الذي ميز مدينة الجزائر لأكثر من ثلاث قرون من الحكم العثماني، فقد ظلَ نفسه لم تطرأ عليه تغيرات كبيرة، حتى منتصف القرن التاسع. والحقيقة أن هذا المنظر يوحي بارتفاع كبير لعدد السكان داخل حيز مكاني ضيق، فما حقيقة ظاهرة الاكتظاظ والازدحام التي عرفتها المدينة؟ وما العوامل المتحكمة فيها؟

3-العوامل المؤثرة في التطور الديموغرافي لمدينة الجزائر

3-1-الظروف الطبيعية

يرجع المختصون المظهر العام المميز لمدينة الجزائر، والمتمثل في شكل مثلث متساوي الأضلاع قاعدته الميناء وقمته أعلى القصبة، إلى عوامل طبيعية، فقد تشكل بفعل سيلان مياه الأمطار الجارفة التي تنطلق من قمة الربوة، منحدرة في شكل مجريان مائيان إلى محاذاة البحر، وقد تسربت المياه من خلالهما عبر الشقوق، فتحولت إلى مجاري باطنية ما لبثت أن ظهرت عند السفح في شكل عيون مثل: عين السلطان قرب الجامع الكبير وعين العطش وعين السباط[19].

ويبرز هذا المنظر بوضوح من جهة البحر، إذ تتراءى البيوت المطلية بالجير الأبيض قائمة على "الجبل"، وهو أعلى أجزاء التل ملتصقة بعضها ببعض متراصة لترتفع طبقات من البيوت انطلاقا من القسم السفلي، واحدة فوق الأخرى حتى تلتقي عند أعلى القصبة[20]، وهو المنظر الذي استفز بجماله وروعته الأوروبيين القادمين على متن سفنهم من مختلف دول ضفاف البحر المتوسط، حتى شبه البعض منظر المدينة من جهة البحر بشراع السفينة الأبيض المنبسط على الروابي الخضراء، بينما بدا للبعض الآخر في شكل قوس ذي وتر، فالقوس يتمثل في الجدران، وشاطئ البحر هو الوتر[21]، فأمام المشاهد يتراءى الرصيف البحري والمرسى تحيط بهما أسوار المدينة، وتبدو المنازل متصاعدة على سفح الجبل وهي تشكل مدرجا، وتظهر المنازل الناصعة البياض[22] وسط أشعة الشمس الإفريقية الدافئة[23].

وكانت المدينة محمية بالحصون التي شرع في بنائها خير الدين وأكملها خلفاؤه من بعده، فجعلتها غاية في المناعة، وكانت الحصون تتألف من سور القصبة ومن عدد معين من الحصون وبطاريات المدافع[24]، أما من جهة البحر فكان يحمي المدينة البرج الجديد وبرج باب الوادي وبرج الانجليز وبرج باب عزون، ومدافع الربوة التي زيد عددها وضمت إليها مدافع جديدة بعد غارة أوريلي (O'Reily)في 1775[25]، وغارة اللورد إكسموث في القرن التاسع عشر، ولا تقل عن 180 مدفعا من العيار الثقيل[26] حتى أن جميع المحاولات الأوربية المعتدية الراغبة في بسط سيطرتها على مدينة الجزائر منذ عهد خير الدين، إلى بداية القرن التاسع عشر–الحملة الفرنسية 1830– باءت كلها بالفشل، ومهما يكن من أمر، فإن مدينة "الجزائر المحروسة بالله" قد استحقت اسمها عن جدارة كاملة من تلك الاستحكامات التي بناها الأتراك، فقد طوروا دفاعاتها بعناية كبيرة، وبدرجة عالية من المهارة العسكرية.[27]

3–2–الخصائص العمرانية

كانت المدينة في أذهان سكانها، مقسمة إلى جزأين: **الجزء العلوي** المعروف بـ"**الجبل**"، و القسم السفلي المعروف بـ "**الوطى**"، ففي القسم العلوي تقيم أغلب العائلات الحضرية حيث البيوت أكثر تقاربا، وحركة المرور تكون عبر أزقة متداخلة، بعضها نافذة (لها مخارج)، وبعضها الآخر أزقة غير نافذة[28] ، وبأعلى قمة الجبل تقع القلعة الحصينة، التي أصبحت منذ سنة 1817 مقرا للدايات، من جهة لإشرافها من الناحية الشرقية على المباني التي تنزل متدرجة نحو البحر، وكذا على أسوار المدينة والميناء. ومن جهة ثانية لما تتمتع به من تحصينات كبيرة، ومن جهة ثالثة لإطلالتها من الناحية الجنوبية والغربية للمدينة، على الريف وحصني الإمبراطور والنجمة [29].

ولما كانت البيوت منطقة الجبل، ملتصقة بعضها ببعض، برزت طبقاتها العليا واحدة فوق الأخرى متراصة كالمدرج، الأمر الذي أثار استهجان الأوربيين، حتى نعتوها بالمدينة الفوضوية، لاتسامها بـ"الطابع التراكمي" و"النمط الانطوائي"، الذي تسبب –من وجهة نظرهم– في انعدام الفضاءات الترفيهية كالحدائق والساحات[30]. مع العلم أن هذه الخاصية

لم تكن حكرا على مدينة الجزائر، بل أن معظم المدن الإسلامية قد اشتهرت بتطورها العفوي والتراكمي، مما أدى بالأوروبيين إلى الحكم عليها بالفوضوية، كما غلب على أنسجتها الحضرية طابع العضوية، فبخلاف بعض المنشآت العامة التي أنجزتها السلطة دفعة واحدة مثل المساجد والبوابات، فإن معظم البناء كان يتم بالتدريج وحسب واقع واحتياج السكان للفضاء والتوسع.[31]

لذلك لم يكن بناء المنازل في مدينة الجزائر، يخضع لأي تخطيط أو برمجة أو تسطير مسبق، بل أن العشوائية والحاجات الفردية كانت لها اليد العليا في بناء المنازل ومدَ الأنهج دون مراعاة للمستقبل وما يفرضه النمو العمراني، وعندما زاد عدد السكان ظهرت مشكلة السكن، فارتفعت بنايات المنازل حتى في بطون الشعاب، وكذلك الأمر بالنسبة للأنهج والأزقة التي أخذت تلتوي بالتواء الشعاب، وهذا ما يفسر لنا كثرة الدروب والأنهج الملتوية، حتى سمي أحد الأحياء بـ"حومة سبع لويات" كناية عن شكلها الكثير الالتواء[32].

وعلى الرغم مما قيل ويقال عن البناء العشوائي للمنازل، إلا أن الحقيقة الثابتة التي يُقر بها حتى خصوم الجزائر، هي أن تلك المنازل من الظاهر كان يصعب تمييزها إن كانت للعامة أو الخاصة، نظرا لشكلها الموحد، فالتمييز الوحيد بينها لم يكن من الممكن رصده إلا بعد الدخول إلى المنازل.

أما انتقاد الأوربيين لاعتماد نموذج البناء الانطوائي في المدينة، فإن ذلك راجع دون شك لاعتبارات اجتماعية ودينية، منها حفظ الخصوصية العائلية عامة والنسوية بصفة خاصة، ناهيك عن خصائصه المميزة في توفير الإضاءة والتهوية، حيث كان لا يسمح بتجاوز عدد معين من الطوابق (اثنان أو ثلاثة على الأكثر) حتى تصل الشمس لجميع المنازل، ومن أسباب اعتماده أيضا، عامل العُرف المحلي الذي ينشأ بين سكان المدينة، فكثيرا ما يُجمع السكان على وجوب امتناع الرجال عن استعمال الأسطح، وعدم تجاوز المباني ارتفاعا معينا، حيث تصبح بدورها معايير وقيم حضرية يحترمها الجميع. إلى جانب عامل الردع الشرعي من ذلك تواتر النصوص والأحاديث النبوية الشريفة الواردة في ذمَ التعالي في البناء، مما كان له

الأثر الاجتماعي المباشر في حفظ التجانس واللجوء أحيانا إلى البناء الأفقي المكثف. إضافة إلى أن اعتماد طابع البناء الانطوائي يتماشى مع الصفات الأخلاقية لسكان مدينة الجزائر، والتي أشار إليها بعض الأوربيين وحتى الأمريكيين الذين زاروا الجزائر ومكثوا فيها برهة من الزمن، بحيث يذكرون أن هؤلاء السكان كان لديهم إيمان قوي بالإسلام، الذي يستمدون من قوانينه وتعاليمه جميع تصرفاتهم وتحركاتهم [33]

وبالرغم من جميع الانتقادات، فقد كانت مدينة الجزائر شوكة في حلق الدول الأوربية، فهي كما وصفها القنصل وليام شلر، مركز للثروة والسلطة، إذ وجدت بها دور الصناعة، التي احتوت على كل أنواع الذخائر العسكرية والبحرية وآلات الحرب الضرورية للهجوم والدفاع معا.[34]

3-3 العوامل البشرية

3-3-1-صعوبة تقدير عدد السكان

إن دراسة النمو الحضري لأي مدينة، يقتضي من الناحية المنهجية الرجوع إلى دفاتر الإحصاء للتعرف على النسب السكانية وحجم النمو، ومن ثمة مقارنتها بمساحة المدينة، من أجل التوصل إلى الزيادة السكانية في المساحة وهو ما يعرف بالكثافة السكانية، والمعلوم أن الإدارة العثمانية لم تعن بإحصاء سكان جميع المدن العربية، عدى تلك التي تدفع ضرائب حسب عدد السكان مثل حلب ودمشق وطرابلس الغرب وبغداد، إذ بقيت المدن الأخرى خارج مجال الإحصاء، الذي كان يتم بهدف التعرف الدقيق على طاقات الولايات السكانية والاقتصادية بهدف تحصيل الضرائب المفروضة عليها[35].

مما فوّت علينا فرصة التعرف الدقيق على مواصفات البناء الاجتماعي في مدينة الجزائر، والحجم الحقيقي لكل جماعة بالنسبة لباقي الجماعات، ثم تطورها وأدوارها، في ظروف ومراحل الانخفاض والارتفاع، ومهما يكن مقدار تحفظنا على تلك التقديرات العددية لسكان المدينة، الواردة في المصادر الأجنبية، إلا أنها تبقى المصدر الوحيد المتوفر لدينا، على افتراض أنها التقديرات القريبة من الواقع حينها، مع الانتباه إلى ضرورة الأخذ بهامش احتياطي يمثل

الفارق المحتمل بين التقدير والرقم الواقعي صعودا أو نزولا، وبهدف تسهيل ملاحظة و مناقشة عدد السكان نورد الجدول التالي:

جدول رقم1: تقدير سكان مدينة الجزائر حسب المصادر الأجنبية[36].

السنة	المصدر	التقدير	عدد المنازل
1516	ليون الافريقي	/	4000 كانون
– 1581–1578	ديغو دي هايدو	/	منزل 12.200
1634	الأب دان	أكثر من 100.00	حوالي 15.000 منزل
–1640 1642	دوأرندا	100.000	/
–1674 1675	الفارس أرفيو	أكثر من 100.000	15.000 منزل
1725	لوج يدي تاسي	100.000	/
1738	شاو	حوالي 117.000	حوالي 5 آلاف نزل
1789	فونتير دي بارادي	حوالي 50.000	5آلاف منزل
1815	شالر	حوالي 50.000	/
— 1830	روزي	30.000	/

إن المتفحص للأرقام الواردة في الجدول، يقف مذهولا أمام ارتفاع عدد السكان المدينة، الذي ناهز المائة والخمسين ألف في بدايات القرن الثامن عشر، بينما كانوا حسب تقديرات ليون الإفريقي 4000 كانون، بداية القرن السادس عشر... !!، أما الانطباع الثاني الذي يتولد لدى الباحث هو الشعور بالصدمة جراء الانخفاض الكبير لعدد السكان عشية الاحتلال حتى وصل تقديرهم إلى 30 ألف ساكن، فالفرق واضح للعيان، فكيف نفسر

تقهقر المدينة التي كانت تأوي أكبر تجمع من السكان على الساحل الأفريقي بدايات القرن السابع عشر، ليتراجع سكانها إلى 30 ألف فقط بدايات القرن التاسع عشر؟ !!، فما هي أسباب الارتفاع والانخفاض في المرحلتين؟

4- دراسة الوضع الديمغرافي

4-1-مرحلة النمو المرتفع

يبدو أن الفئة التي سكنت المدينة في هذه المرحلة وترعرعت فيها، كانت تتشكل أساسا من أحفاد قبيلة الثعالبة بفرعيها العربي والأمازيغي[37]، وقد تزايد عدد السكان بعدما شهدت المدينة المزيد من الوافدين إليها، خاصة من الأندلسيين والأتراك- جنود الانكشارية- والعناصر البرانية[38] الوافدة من الداخل ومن بلدان الجوار العربية وحتى من الدول الأوربية، وهذه الأهمية التي اكتسبتها المدينة ترجع لكونها مركز الإدارة الحاكمة، التي جلبت إليه أطياف من السكان متنوعة ومتعددة، وأصبحت تبعا لذلك سوقا استهلاكية متميزة عن باقي الموانئ والحواضر الجزائرية الأخرى، وهو ما زاد في استقطاب التجار الأجانب سواء من المسلمين أو اليهود أو المسيحيين[39]، وفي ما يلي وقفة عند هذه الفئات الثلاث:

4-1-1- توافد العناصر الأندلسية

تعود بدايات صلة الأندلسيين بالمدينة، إلى القرن التاسع هجري الموافق للقرن الخامس عشر ميلادي، أما موجات الهجرة الكبيرة إليها، فكان بعد سقوط آخر معاقل الأندلس في العام 1492 بيد الاسبان، فقد تدفقت أمواج المهاجرين على شواطئ المغرب الإسلامي ينشدون الحماية والأمن، ويبحثون في نفس الوقت عن طريق العودة والثأر، وكانت طبقات المهاجرين تختلف ثروة وثقافة، ففيهم أبناء الشعب والبسطاء وأحفاد الملوك والوجهاء وفيهم أصحاب الصنائع وأصحاب العلم[40]

وتواصل توافد الأندلسيين إلى مدينة الجزائر في شكل دفعات كانت بارزة بين سنتي 1570 و1609، زاد في وتيرتها صدور قرار طردهم النهائي من الأندلس في الثاني والعشرين سبتمبر من العام1609، واستوطن بعضهم فحوص متيجة، في الحين استقر البعض الآخر

خاصة بشرشال ودلس و وهران، إضافة إلى العديد من مدن و مراسي الجزائر وتونس والمغرب، وللإشارة فإن أهل الأندلس قد جلبوا معهم مهارتهم المتنوعة في الحرف والصناعات، إضافة إلى نشاطاتهم ودرايتهم بالكثير من شؤون الحياة. ورغم النكبة فقد حافظ الكثير منهم في مواطنهم الجديدة على حياة الترف والرفاهية، وهم الذين اشتهروا لما كانوا ببلادهم في المأكل بطبيخهم الجيد، إلى جانب ملبسهم الأنيق والممتاز[41].

وقد ذكر أندريه ريمون في دراسته للمدن العربية في العهد العثماني، ارتفاع عدد سكان مدينتي الجزائر وتونس خلال القرن السابع عشر على اثر صدور قرار الطرد النهائي للأندلسيين من اسبانيا، التي غادرها ثمانون ألف أندلسي، الذين استقر جزء منهم مدينة الجزائر، وشكل الأندلسيون جاليات نشطة في ولايتي الجزائر وتونس[42]، وأدوا دورا مميزا في الاستثمار الزراعي في المناطق التي استوطنوها، كما نشطوا أيضا في المدن وتجلى ذلك في إبراز قدراتهم وفاعليتهم في إنعاش بعض الأنشطة، خاصة تلك المتعلقة بصناعة الحرير والبلاطات الخزفية وأعمال البناء[43].

ساهم التواجد الكبير للأندلسيين بمدينة الجزائر في اكتظاظ هذه الأخيرة، مما اضطر بعضا من سكانها إلى النزوح خارج أسوارها والاستقرار في المرتفعات المشرفة على المدينة من ناحية باب الوادي، وزادت حاجة الحضر إلى المساكن وبذلك أصبح التوسع العمراني ضرورة ملحة، واختار الأندلسيون المواقع المرتفعة من جهة القصبة، والتي يظهر منها البحر بشكل جيد، وبذلك اشتد ازدحام المباني فوق الأرداف و متون الروابي، ورُفعت المنازل فوق السفوح وفي مواضع الحدائق، ومما لا شك فيه أن المنازل التي شُيدت من على الروابي بقيت تحتل المكانة الهامة والقيمة الكبيرة لدى السكان نظرا لما تتميز به من موقع جذاب يجمع بين إطلالة الشمس وزُرقة البحر، التي يمكن مشاهدتها من الشبابيك ومنظر يُطل على البحر، وهو قبل ذلك وبعده منظر يُمكن صاحبه من رؤية القادمين من بعيد.

4-1-2- توافد العنصر التركي

تمثلت هذه العناصر في البداية، من فرق الجيش الانكشاري التي وفدت إلى الجزائر بداية من العام 1520، ففي هذه السنة أرسل السلطان سليم الأول (1515-1520) مع الوفد الجزائري الذي حمل له رسالة الجزائريين المعبرة عن رغبتهم في الالتحاق بالباب العالي، و بلغ عداد عناصر هذه الفرقة الستة لآلاف جندي منهم ألفين من الجيش الانكشاري المدرب و المتمرس على فنون القتال، والبقية كانوا من المتطوعين، الذين أضيفوا إلى فرق الجند التي كان يقودها خير الدين بربروس في مدينة الجزائر، والتي كانت تضم كذلك خمسة آلاف جندي جزائري من المتطوعين[44].

وما ميز العنصر التركي العثماني الوافد إلى الجزائر، أنه عبارة عن مزيج من أصول وأجناس متنوعة ومختلفة، فكان منهم الأتراك إلى جانب الأرناؤوط والبشناق والأكراد واليونانيين والبلغار والتشيك والأرمن وحتى التتار، وهؤلاء جميعا شكلوا مجموعة واحدة، بعدا انصهروا في اللغة التركية والمذهب الحنفي، وأثناء وجودها بالجزائر لم تكن منغلقة أو منعزلة عن بقية السكان الجزائريين، وارتبط هؤلاء بؤولائك عن طريق علاقات المصاهرة[45].

تجدر الإشارة إلى أن مجيء الجنود إلى الجزائر قد استمر حتى أوائل القرن التاسع عشر، وكان مقدمهم أساسا من منطقة الأناضول، ومن الطبقات الدنيا في مجتمعاتهم، وكانت سلطات مدينة الجزائر ترسل موفدين عنها لتجنيد متطوعين في جيشها، أو كانت تستخدم وكلاء لها لهذا الغرض، يكونون من سكان الإقليم المقصود، كان تعاملها بخاصة مع إقليم أزمير، وسوف يُسهم هذا التدفق المستمر والمنتظم للمتطوعين القادمين من مركز الإمبراطورية بشكل قوي في الحفاظ على طابع إيالة الجزائر " التركي"، وسوف يُجبرون حكام الجزائر على الإبقاء على روابط سياسية بينهم وبين الباب العالي، والذي كانت موافقته ضرورية في عملية التجنيد[46].

4-1-3- الوافدون و الأسرى

عرفت مدينة الجزائر خلال هذه الفترة التي نخصها بالدراسة ظاهرة وفود سكان المناطق الداخلية إليها من سكان الجبال والأرياف، على غرار المدن العربية الكبرى الأخرى من مثل

بغداد وتونس وصفاقس وغيرها، وقد تميزت تركيبة الوافدين بتنوع كبير، فهناك الوافدون من المدن القريبة والمجاورة كالبليدة و القليعه وشرشال وملیانة والمدية، وكذا نزوح بعض منهم من مناطق زمورة وسباو وفليسة وبجاية و وهران ومستغانم مازونة ومعسكر وغيرها[47].

فموقع الجزائر على حوض البحر الأبيض المتوسط، جعلها نقطة استقطاب لعدد كبير من الوافدين من الداخل ومن بعض الدول العربية وحتى الأوروبية، بما في ذلك اليهود، إضافة لعدد من الأسرى من المسيحيين، الذين تنوعت أصولهم من مختلف الدول أوروبية، بل يلاحظ وجود عدد من الأسرى تعود أصولهم إلى دول القارة الأمريكية [48].

وتشير المصادر التاريخية إلى أن استمرار توافد العناصر البرانية على مدينة الجزائر، وارتفاع عدد الأسرى، قد ساهم في تزايد عدد سكان مدينة الجزائر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، على أن هذا الارتفاع الملاحظ له كذلك أساب أخرى أهمها ازدهار أعمال الجهاد البحري، الذي انعكس إيجابا على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ناهيك عن تحسن الأحوال الصحية نسبيا، مما حدَ من انتشار الأمراض والأوبئة.

4-2- مرحلة الانخفاض والتراجع السكاني

لم يستمر تعداد السكان في مدينة الجزائر في التزايد الطردي، بل عرف نوعا من التراجع خاصة مع نهاية القرن الثامن عشر، فبداية من الربع الأخير من هذا القرن وحتى عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830)، تراجع عدد سكان المدينة إلى حدود الثلاثين ألف نسمة، ولعل مرد ذلك يكمن و بالدرجة الأولى إلى انتشار الأمراض المعدية والأوبئة بين عموم الناس، وعلى رأسها مرض الطاعون، الذي شهدته الجزائر عموما ومدينة الجزائر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر عدة مرات، أبرزها سنوات: 1717، 1718، 1723، 1730، 1733، 1778، 1799، 1816، 1822، و هي فترة طويلة تكشف عن فداحة الخسائر البشرية التي حصدتها الأوبئة، التي لم سلم منها حتى الداي علي خوجة الذي توفي بعد إصابته بالطاعون [49].

وقد كان انتشار الطاعون بمنطقة الساحل التي تشمل مدينة الجزائر و ضواحيها، بنسبة 53.8%، في الحين كان نصيب المنطقة الشرقية (قسنطينة) 26%، أما المنطقة الغربية (وهران)، فقد بلغت النسبة حدود 14.9%. وبالمقارنة مع تونس والمغرب خلال المرحلة الممتدة ما بين سنتي 1500 و 1822، وعلى مدار 323 سنة، وبمجموع السنوات التي استفحل فيها مرض الطاعون، فقد ألم بالأولى 53 سنة من و الثانية 55 سنة، أما الجزائر فقد عانت من الطاعون مدة 157 سنة [50]، وبقدر الفارق الكبير في السنوات بين الجزائر وجارتيها في المعاناة من مرض الطاعون، بقدر الفرق في الخسائر البشرية، التي كانت كبيرة في الجزائر والمؤثرة بعمق على تراجع نموها الديمغرافي.

ويُرجح أن يكون مصدر مرض الطاعون واستفحاله في الجزائر على الأغلب، إلى البيئات غير الصحية التي وفد منها الباعة، خاصة من آسيا الوسطى و العراق وشبه الجزيرة العربية و وادي النيل...كما ساهمت الأسفار في تفشي الظاهرة، خاصة رحلات الحج، حيث كان الحجاج الجزائريون يختلطون في البقاع المقدسة وطريق العودة بالحجاج المصريين والشاميين، الذين كانت تنتشر في بلدانهم الأوبئة، ومن ثمة يُصابون بالعدوى وبعودتهم إلى الجزائر ينشرون هم بدورهم العدوى بين الجزائريين، وإضافة إلى هذه العوامل، نجد هناك أسباب أخرى لانتشار الوباء، ومنها ما تترتب عن الجهاد البحري والنشاط التجاري وتنقل الفرق العسكرية بين منطقة وأخرى [51].

ولأن مدينة الجزائر كانت مركزا للطبقة الحاكمة وحاشيتها، ومركزا اقتصاديا وصناعيا وتجاريا، بحيث غدت محل استقطاب للتجارة الخارجية مع الجوار ومع دول حوض البحر المتوسط، فقد لعبت دور الوسيط من خلال التأثير والتأثر في الإصابة بالعدوى ونقلها إلى جهات أخرى وحتى مطلع القرن التاسع عشر ميلادي. ولم تقف السلطة في الجزائر مستسلمة أمام انتشار الأوبئة، بل حاولت التصدي لها وفقا لشراسة وقوة تلك الأوبئة وسرعة تفشيها، كما عملت على نشر ثقافة الوقاية منها، وما تشكله من خطورة، وحتى تصويب اعتقادات الناس حول الموت والحياة، والضرورة التي يقول بها الدين في الوقاية و المعالجة من الأمراض.[52]

وهذه الإجراءات المتخذة، تُفند ما يدعيه البعض، من أن السلطات الصحية لم تعالج من المصابين بالأمراض الوبائية غير المرضى بالموانئ البحرية، وعملت على حماية الأصحاء، وغضت الطرف عن المصابين في الحدود البرية ودواخل البلاد[53].

كما لم يكن داء الطاعون هو الوحيد الذي أصاب مدينة الجزائر، التي ابتليت سنة 1816، كغيرها من مناطق التل، باجتياح الجراد لها، وهو الذي أتلف محاصيل الإنتاج الفلاحي، وعرفت البلاد ومنها الجزائر العاصمة سنة 1819، مجاعة اشتدت وطأتها على عموم السكان خاصة، وهم الذين تأثروا كثيرا بالجفاف الذي ألم بمدينتهم وبباقي البلاد، سنتي 1826 و 1827. لقد أفرزت هذه الأوضاع على سكان المدينة، حالة اقتصادية واجتماعية عصيبة، تمثلت في ندرة المواد الغذائية والارتفاع الفاحش للأسعار، مما أثار سخطا اجتماعيا عاما، واتهمت الداي حكومة مصطفى باشا بالعجز والقصور في تخفيف من معاناة الناس، وبتواطئها مع التجار اليهود اللفورنيين من جهة أخرى[54].

5- الكثافة السكانية

لم تتجاوز الرقعة الجغرافية التي شُيدت عليها مدينة الجزائر في العهد العثماني، الخمسين هكتارا، كانت هي النواة الأولى التي تموقع فيها السكان، وشهدت توسعا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين[55]، وصل إلى حدود المائة هكتار، وكان عدد السكان في تلك الحقبة مرتفعا، مما أفرز أزمة حقيقية في السكن وحالة اكتظاظ شديدة وسط الساكنة، وزاد من استفحال تلك الأزمة، التزايد الكبير في عدد الوافدين إليها خاصة من الأندلسيين، وتمركز جميع ثكنات الجيش الانكشاري بداخل المدينة، وللعلم أن كل ثكنة تستوعب عددا كبيرا من الجنود[56].

يضاف إلى ما سبق، ارتفاع عدد الوافدين من العناصر البرانية، فمدينة الجزائر كانت هي العاصمة، وفيها تركز المؤسسات الإدارية والسياسية وحتى الدينية من احتضانها لأضرحة الأولياء والصالحين، التي اتخذت مزارات للعديد من طبقات الشعب، كما أنها كانت مقرا

يُعقد فيه المجلس العلمي، إضافة إلى كونها مركزا اقتصاديا يستقطب رؤوس أموال وبضائع مصدرها الجهاد البحري والسلع القادمة من مختلف نواحي الجزائر (البياليك)[57].

وما جعل مدينة الجزائر قبلة للسكن وبالتالي ذات كثافة سكانية كبيرة، حالة الأمن التي كانت تعرفها وتتمتع بها، والإمكانيات الكبيرة التي تتيحها الأنشطة الاقتصادية التي جذبت إليها سكان الريف في إطار هجرة داخلية قوية، وهم الذين يبحثون عن حرف، غالبا ما تكون متواضعة. وبالعودة إلى مخلفات الكثافة السكانية، نلاحظ أن أزمة السكن قد كانت في ارتفاع، وأن المنطقة من الناحية الجغرافية تعقدت بشكل كبير، إذ لم يعد من السهل إيواء عدد كبير من السكان في منطقة محصورة طبيعيا، وحمايتهم من العدو الذي يتربص بهم، لذلك كانت المساكن تتزاحم وأخذت ترتفع فوق بعضها البعض، مثل حبات عنقود العنب، وبسبب عامل توفير الحماية لجميع السكان، ضغطت المدينة داخل الأسوار، وبهدف توفير المساكن أدت لظهور أحياء جديدة شديدة التسلق والتركيب فوق القصبة العلي[58]ا.

وانعكست أزمة السكن الخانقة سلبا، على بناء مرافق أخرى، ومنها بناء مرافق عمومية جديدة، وكانت أغلب المساجد في العهد العثماني تقوم على أنقاض منازل وحتى مساجد قديمة، مما يوحي بانحسار الأراضي و المواقع الشاغرة، ومن ذلك أن مسجد علي بتشين الذي شُيد حوالي 1622-1623، لم تتجاوز مساحته الخمسمائة متر مربع، وقد قام على أنقاض أحد القصور، والأمر نفسه يقال عن مسجد باب الجزيرة المعروف بمسجد شعبان خوجة، الذي بُني في العام 1693، وفوق أرض كانت في الأصل منازلا تم تهديمه، كما أن البناء الكامل لمسجد كتشاوة (1794-1795)، جاء على أنقاض مسجد قديم، كان يحمل نفس التسمية، وقد أشرف على إنجازه بصفة شخصية الداي حسن باشا (1798/1791)[59].

ورغم ضيق المساحة مقارنة بعدد السكان، فإن النمو الحضري قد تحقق داخل المدينة، أو على أطرافها وغالبا ما كانت يتم ذلك النمو داخل المدينة، عن طريق التكثيف وملء الفراغات، التي كانت قائمة في النسيج الحضري، كما كان يتحقق أيضا خارج المدينة عن

طريق امتدادها على هيئة ضواحي في الأغلب، وقد لاحظ أندرية ريموند عند دراسته للمدن العربية في العهد العثماني، إلى أن مدينة الجزائر كانت الأكثر تواضعا من حيث المساحة، مقارنة بالمدن العربية، فنواتها الأولى التي قامت عليها لم تتعد الخمسين هكتارا. في الحين أن عدد سكانها سنة 1830، قُدر بثلاثين ألف نسمة[60].

كما اعتبر مؤشر الكثافة السكانية بمدينة الجزائر المقدر ب246 نسمة في الهكتار، جدُ مرتفع، وهو أكبر كثافة من سكان القاهرة، ومع ذلك يمكن اعتباره مقبولا بالنظر إلى ارتفاع عدد السكان وانحصار مدينة الجزائر داخل السور، وكذا لكثافة المنشآت ولطابعها المعماري الذي كان رأسيا، بالإضافة إلى وجود السجون والثكنات، حيث يتمركز عدد كبير من جنود الانكشارية، يُقدرون بالآلاف، إضافة إلى عدد من الأسرى المسيحيين[61]، ونظرا لهذه الكثافة فقد تحولت الحمامات في المدينة عن وضيفتها الأساسية، لتصبح مراقد ليلية ومأوى للوافدين من العناصر البرانية والفئات الفقيرة، فضلا عن عدد كبير من إيوائها لعدد كبير من الأسرى والعبيد[62].

4. خاتمة: بعد استعراض التطور الديمغرافي لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني، والعوامل المتحكمة فيه من حيث الارتفاع أو الانخفاض، وتبيان مرحلة النمو وأسبابها ونتائجها ومرحلة التراجع الديمغرافي وأسبابها وما ترتب عنها، يمكن استنباط التالي:

– أن الموقع الاستراتيجي للمدينة كان المتحكم الأساس في العملية الديمغرافية، صعودا ونزولا.

– شكلت الهجرات المختلفة إلى مدينة الجزائر في المرحلة محل الدراسة، دفعا مهما في تزايد وتطور الساكنة فيها.

– كما كان لتحسن الوضع الاقتصادي للدولة والمجتمع وتراجع وتيرة الحروب مع الخارج، خاصة الأسبان، دورهما في نمو وتطور المدينة على مختلف الأصعدة والميادين، ومنها الصعيد الديمغرافي.

– شهدت الجزائر مع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ظهور موجة من حركات التمرد والاحتكاك مع الخارج وتراجع المستوى المعيشي، الذي أدى إلى العكوف عن الزواج أو تأخره، كلها عوامل كانت متحكمة في التراجع الديمغرافي في هذه المرحلة من تاريخ مدينة الجزائر.

– أن العوامل الطبيعية كان لها انعكاسها السلبي على هذا التطور، ومنها الزلازل وخاصة الأوبئة والأمراض التي شهدتها المدينة في هذه الحقبة وبخاصة في المرحلة الأخيرة من الوجود العثماني.

5.الهوامش

[1]–عبد الرحمن، الجيلالي. **تاريخ المدن الثلاث الجزائر ، المدية ، مليانة**، ط2، منشورات دار الأمة، الجزائر 2007، ص 10–11.

[2]– لم تحظ المدينة بما يكفي من اهتمام الدول المتعاقبة على احتلال المنطقة من وندال وبيزنطيين ورومان وقد عُرفت مدينة الجزائر في القديم ب إيكوسيومICOSIUM) وهي كلمة مركبة من شقين (I)و هو اختزال لاسم (ISLA) أي الجزيرة، أما الشق الثاني (KOSIM) فيعني النوارس وهكذا تركب الاسم (ICOSIUM) أي "جزيرة النوارس" أنظر:–عبد الله، حمادي."**جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الأسبان**"، مجلة المصادر ، عدد 6، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2002، ص 255–256.

[3]– أنظر : حسن بن محمد الوزان، **وصف إفريقيا، ج1**ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2 ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمةودار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983، ص56.

[4]–أثناء الفتوح الإسلامية دُمرت مدينة الجزائر، وهجرها أهلها إلى أن جدد بناءها بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي بأمر من والده و كان ذلك حوالي سنة 339هـ/950م. أنظر:

-TALEB, S. **« Djazair Banumazghana, de la fondation par Bologhine au XVIème siècle »,** Acte du colloque international-Alger lumière sur la ville, **V1**, Pub. L'EPAU, Alger, 2002, p 42.

[5]–جون، ب، **وولف. الجزائر و أوربا**، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005 ص15.

[6]– الجيلالي. مرجع سابق، ص 215.

[7]– حليمي، عبد القادر. **"أثر التضاريس في تخطيط مدينة الجزائر"**، مجلة الأصالة، عدد 6، جانفي 1972.

[8]– نفسه، ص 99–100، وأنظر أيضا:

-FEDERICO, CRESTI. **« Notes sur le développement urbain d'Alger des origines a la période turque »**, In : contributions a L'Histoire d'Alger, Ed. Centro Analsi Sociale Progtetti, Rome, 1993, pp 12-20.

[9]– عائشة، غطاس،"**ظهور الدولة الجزائرية الحديثة"، في** الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص ص 11–17.

[10]– محمد العربي، الزبيري. **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985، ص 32–33.

[11]– خير، الدين بربروس. **مـــذكـــرات**، ترجمة محمد دراج، دار الأصالة، الجزائر، 2010، ص 21–22.

[12]–راجع استغاثة أهل الأندلس بالسلطان العثماني:– جمال، قنان. **نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500–1830**، طبعة خاصة، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009، ص47–48.

– غطاس. "ظهور الدولة..."، مرجع سابق، ص 20–21. [13]

[14]–خير، الدين بربروس. مصدر سابق، ص 113و 74.

[15]– ويشمل إقليم دار السلطان في الأصل مدينة الجزائر، المتيجة، والساحل من تنس غربا إلى دلس شرقا وتشكل جزء الإيالة الخاضع إلى سلطة الداي مباشرة ، وهذا الإقليم هو المقاطعة المركزية والتي خضعت لتنظيم محكم.

[16]– قنان. مرجع سابق، ص 15.

[17] –Cresti. Op.cit, p 63.

[18] -Ibid.

– حليمي. مرجع سابق، ص 73. [19]

–الجيلالي. المرجع السابق، ص19. [20]

[21] – Diego de HAEDO. « **Topographie et histoire général d'Alger** », trad de l'espagnol par Dr Monnereau et A Berbrugger, Revue.Africaine, **T 15**, 1871, p 43-44.

[22]– كان المواطنون يستعملون الجير لتبييض المنازل، مرة في السنة على الأقل، آملين بذلك السيطرة على الطاعون.

[23]–وولف. المرجع السابق، ص 150.

[24] -M. BLHAMISSI. **Alger –L'Europe et la guerre secrète (1518-1830)**, Ed. Dahleb, Alger, 1996, p p10-12.

[25]–فريد بنور. **المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782–1830**، منشورات كوشكار، الجزائر، 2008، ص 23 ، 50.

– الجيلالي. المرجع السابق، ص 116–117. [26]

[27]–على أن هذه المدينة كانت تعرف عند الأتراك باسم "جزائر الغرب"، تمييزا لها عن جزر اليونان، و جزائر الأرخبيل.

[28] –PIERRE. BOYER. **La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française**, ED. HACHETTE, Paris, 1963, p 50.

[29]– شرع في بناء القلعة من طرف عروج سنة 1513، حيث جهزها ببعض المدافع، ثم أتم بناءها خيضر باشا سنة 1590، وتحوي على عدة أقسام أو مراكز منها قصر الداي وقصر البايات وأجنحة خاصة ومنتزهات، ومسجد الداي ومصنع للبارود، كما يوجد بها قصر الأغا الواقع في الجهة الشمالية لحدائق الداي، وغرب المسجد، ويعتبر قصر الآغا من أفخم البنايات بعد قصر الداي، أنظر: –سعيد، مهيبل. **مواد و تقنيات البناء في قصر الداي بقلعة الجزائر في العهد العثماني –دراسة معمارية أثرية–**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008–2009، ص ص 20–24.

[30]–جيمس ويلسون، **ستيفنس. الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785–1797**، ترجمة علي تابليت، دار ثالة للنشر، الجزائر، 2007، ص 211.

[31]–مصطفى، بن حموش. **المدينة و السلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني**، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق، 1999، ص 46.

[32]–نجوى طوبال. **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر(1700–1830) من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر، 2008، ص 129–130.

[33] -Boyer, Op.cit, P 69.

[34]– وليام شالر، **مذكرات وليام شلر قنصل أمريكا في الجزائر (1816/1824)**، ترجمة و تقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص، 72.

[35] خليل ساحلي أوغلي. " **نسبة عدد سكان المدن إلى مجموع السكان في بعض الولايات العربية في الحكم العثماني**"، في: من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني–بحوث و وثائق وقوانين، منشورات مركز الأبحاث للتريخ والفنون والثقافة الاسلامية (إرسيكا)، إسطنبول، 2000، ص 62.

[36] –Cresti. Op.cit, p 85.

[37]– أرزقي شويتام، **المجتمع الجزائري و فعاليته في العهد العثماني 926–1246هـ – 1519–1830**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص9.

[38]– البراني، جمعه البرانية تطلق مدلول الكلمة في التعبير الشعبي يعني كل غريب عن العائلة أو عن الحي أو المدينة. وكلمة البراني تعني كذلك الأجانب والغرباء، أنظر: – عزي بوخافة، **من قاموس العادات و التقاليد الجزائرية، ج 2** ، دار إسحاق الدين للكتاب، الجزائر، 2009، ص، 132.

[39]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص، 46،47.

[40] - Farid Khiari. « **Une Caummunité Résurgente. Les Andalous a Alger de 1570 à 1670 »,** Revue d histoire Maghrébine N 69-70. 1995. p.p. 119-126.

[41]–من المؤشرات على كثافة الحضور الأندلسي في مدينة تونس، أنهم عمّروا حيين فيها عُرفا بهم، أحدهما أطلق عليه " زقاق الأندلس" وهو بداخل المدينة العتيقة، والثاني يسمى ب" حومة لأندلس" ويقع بربضها بباب السويقة، ودعموا ديمغرافيا عددا هاما من القرى المتوادة حول مدينة تونس بمحيط يشمل حوالي 60 كلم، وعليه قُدر عدد المهاجرين الأندلسيين بتونس وحدها ما بين 40 إلى 50 ألف مهاجر. أنظر: – عبد الحميد هنية. **تونس العثمانية، بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر على منتصف القرن التاسع عشر**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2012، ص، 127.

[42]– أندرية ريمون ، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، ترجمة لطيف فرج، منشورات دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص، 42.

[43]–بن حموش، المدينة، مرجع سابق، ص ص، 191–215.

[44]– زكية زهرة. **"الجيش الانكشاري"** في : **الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها**، مرجع سابق، ص، 69.

[45]–أمين محرز. **الجزائر في عهد الأغوات (1659–1671)**، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009/2008، ص، 85.

[46]– أندرية ريمون. "**الولايات العربية،(القرن السادس عشر–القرن الثامن عشر)**"، في: **تاريخ الدولة العثمانية، ج2**، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للنشر و الدراسات و التوزيع، القاهرة،1993، ص، 539.

[47]– عائشة غطاس،**الحرفيون بمدينة الجزائر، 1700–1830،مقاربة اجتماعية اقتصادية**، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص، 28.

[48]– شويتام، مرجع سابق، ص، 16.

[49] - Boubaker Sadok. **« La peste dans les pays des Maghreb Attitude face au fléau et impacte sur les activités commerciales XVIème- XVIIIème siècle»** Revue d histoire maghrébine N 69 -70 . 1995 ,p 312

– عائشة غطاس، " **أوضاع الجزائر المعاشية و الصحية أواخر العهد العثماني: المجاعات و الأوبئة ،1787، 1830**" المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية،عدد 16–17، 1998، ص، 361، 362.

[50] -Sadok. Op.cit, P 312.

[51]– فلة قشاعي موساوي، **"وباء الطاعون في مدينة الجزائر العثمانية: دوراته و سلم حدته و طرق انتشاره"**، مجلة دراسات إنسانية، عدد 01، 2001، ص، 143– 145.

[52] -Sadok. Op.cit, p324.

[53]- فرنسوا أرنولي. " **علم الأوبئة في البحر الأبيض المتوسط في القرن 17م –20م**"، مجلة التاريخ للدراسات العربية، ع 17-18 1998 ص،449.

[54]– غطاس. " أوضاع الجزائر المعايشية و الصحية..."، مرجع سابق، ص، 364.

[55] - Mohamed Amine **«La situation d Alger verre 1830 »,** Revue d histoire maghrébine; N 77-78.1995, p. 20

[56] -Devoolx. **«ELdjazair» Histoire d une cité d, Icosuime d Alger**, présenté par Badredine Belkadi et Mustapha Ben Hamouche. Ed, ENAG ; Alger, 2003 ; pp ; 261-273.

[57] - Khiari. « Une Caummunité… ». Op.cit p. 12.

[58]– حليمي، مرجع سابق، ص، 78.

[59] -Tel, shuval. **«Le dynamisme du waqf d, Alger au XVIII eme siècle », In :** Les fondations pieuse (wakf) en Méditerranée, enjeux du société, enjeux de pouvoir: d Augaf public fondation, Kuwait, 2005 p ,67.

[60]– في حين وخلال الفترة نفسها، نجد مدينة القاهرة قد تربعت على مساحة 730 هكتار، وعدد سكانها بلغ المائتين و ثلاث و ستون ألف نسمة، أما مدينة حلب بسوريا فقد قامت على مساحة قدرها 397 هكتار، و عدد ساكنيها بلغ التسعون ألف نسمة، أما مساحة تونس المدينة فقد كانت 620 هكتار و قُدر عدد سكانها بحوالي الثمانون ألف نسمة في العام 1860. راجع:– ريمون، المدن العربية...، مرجع سابق، ص، 47.

[61] – نفسه، ص51.

[62] - Farid Khiari**, vivre et mourir en Alger, L' Algérie ottomane aux XVI –XVI siècle : un destin confisait**, Ed. Harmattan, paris 2002, p. 12.

قائمة المصادر والمراجع

1–المصادر العربية

- بربروس (خير، الدين)، **مـــذكـرات**، ترجمة محمد دراج، دار الأصالة، الجزائر، 2010.

– شالر (وليام)، **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1824/1816)**، ترجمة و تقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

- الوزان (حسن بن محمد)، **وصف إفريقيا، ج1**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2 ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة ودار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

2–المراجع العربية و الأجنبية

–بن حموش (مصطفى)، **المدينة و السلطة في الإسلام، نموذج الجزائر في العهد العثماني**، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق، 1999.

-بنور(فريد)، **المخططات الفرنسية تجاه الجزائر 1782–1830**، منشورات كوشكار، الجزائر، 2008.

-الجيلالي (عبد الرحمن)، **تاريخ المدن الثلاث الجزائر ، المدية ، مليانة**، ط2، منشورات دار الأمة، الجزائر 2007.

– ريمون (أندرية)، **المدن العربية الكبرى في العصر العثماني**، ترجمة لطيف فرج، منشورات دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، 1991.

– الزبيري (محمد العربي)، **مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1985.

-ستيفنس (جيمس ويلسون)، **الأسرى الأمريكان في الجزائر 1785–1797**، ترجمة علي تابليت، دار ثالة للنشر، الجزائر، 2007.

– سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 1**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998.

– شويتام (أرزقي)، **المجتمع الجزائري و فعاليته في العهد العثماني 926–1246هـ – 1519–1830**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009.

– طوبال (نجوى)، **طائفة اليهود بمجتمع مدينة الجزائر(1700–1830) من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر، 2008.

– عزي بوخافة، **من قاموس العادات و التقاليد الجزائرية، ج 2** ، دار إسحاق الدين للكتاب، الجزائر، 2009.

– غطاس (عائشة)، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، 1700–1830،مقاربة اجتماعية اقتصادية**، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

– قنان (جمال)، **نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500–1830**، طبعة خاصة، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2009.

– هنية (عبد الحميد)، **تونس العثمانية، بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر على منتصف القرن التاسع عشر**، منشورات تبر الزمان، تونس، 2012.

-وولف (جون، ب)، **الجزائر و أوربا**، ترجمة أبو القاسم سعد الله، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

-BELHAMISSI (M.). **Alger –L'Europe et la guerre secrète (1518-1830)**, Ed. Dahleb, Alger, 1996.

–BOYER (PIERRE). **La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention Française**, ED. HACHETTE, Paris, 1963.

-Devoolx. **«ELdjazair» Histoire d une cité d, Icosuime d Alger**, présenté par Badredine Belkadi et Mustapha Ben Hamouche. Ed, ENAG ; Alger, 2003.

- Khiari **(**Farid**). vivre et mourir en Alger, L' Algérie ottomane aux XVI –XVI siècle : un destin confisait**, Ed. Harmattan, paris 2002.

3–الدراسات العربية والأجنبية

– أرنولي (فرنسوا)، " **علم الأوبئة في البحر الأبيض المتوسط في القرن 17م –20م**"، مجلة التاريخ للدراسات العربية، ع 17–18، 1998.

–أوغلي(خليل ساحلي)، " **نسبة عدد سكان المدن إلى مجموع السكان في بعض الولايات العربية في الحكم العثماني**"، في: من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني–بحوث و وثائق وقوانين، منشورات مركز الأبحاث للتريخ والفنون والثقافة الاسلامية (إرسيكا)، إسطنبول، 2000.

–حليمي (عبد القادر)، "**أثر التضاريس في تخطيط مدينة الجزائر**"، مجلة الأصالة، عدد 6، جانفي 1972.

– حمادي(عبد الله)،"**جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الأسبان**"، مجلة المصادر ، عدد 6، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2002.

– ريمون (أندرية)، "**الولايات العربية**،(**القرن السادس عشر–القرن الثامن عشر)**"، في: **تاريخ الدولة العثمانية، ج2**، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للنشر و الدراسات و التوزيع، القاهرة،1993.

– زهرة (زكية)، "**الجيش الانكشاري**"، **في** الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

– غطاس (عائشة)،"" **أوضاع الجزائر المعاشية و الصحية أواخر العهد العثماني: المجاعات و الأوبئة 1787، 1830**" المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية،عدد 16–17، 1998.

– غطاس (عائشة)،"**ظهور الدولة الجزائرية الحديثة**"، **في** الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

– قشاعي– موساوي (فلة)، "**وباء الطاعون في مدينة الجزائر العثمانية: دوراته و سلم حدته و طرق انتشاره**"، مجلة دراسات إنسانية، عدد 01، 2001.

- Amine (Mohamed). **«La situation d'Alger verre 1830 »,** Revue d'histoire maghrébine; N 77-78, Tunis, 1995.

- CRESTI (FEDERICO). **« Notes sur le développement urbain d'Alger des origines a la période turque »**, In : contributions a L'Histoire d'Alger, Ed. Centro Analsi Sociale Progtetti, Rome, 1993.

–HAEDO (Diego de). **« Topographie et histoire général d'Alger »,** trad de l'espagnol par Monnereau et A Berbrugger, revue.Africaine, **T 15, Alger,** 1871.

- Khiari (Farid). « **Une Caummunité Résurgente. Les Andalous à Alger de 1570 à 1670 »,** Revue d'histoire Maghrébine N 69-70, Tunis, 1995.

- Sadok (Boubaker). **« La peste dans les pays des Maghreb Attitude face au fléau et impacte sur les activités commerciales XVIème- XVIIIème siècle»** Revue d'histoire maghrébine N 69 -70 , Tunis, 1995 .
- Shuval (Tel). **«Le dynamisme du waqf d, Alger au XVIII eme siècle », In :** Les fondations pieuse (wakf) en Méditerranée, enjeux du société, enjeux de pouvoir: d Augaf public fondation, Kuwait,2005.
-TALEB,(S). **« Djazair Banumazghana, de la fondation par Bologhine au XVIème siècle »,** Acte du colloque international-Alger lumière sur la ville, **V1**, Pub. L'EPAU, Alger, 2002 .

4– الرسائل الجامعية:

– محرز (أمين)، **الجزائر في عهد الأغوات (1659–1671)**، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009/2008.

– مهيبل (سعيد)، **مواد و تقنيات البناء في قصر الداي بقلعة الجزائر في العهد العثماني –دراسة معمارية أثرية–**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008–2009.